رقم عام: ٢٢٦
رقم خاص:
تاريخ الورود:

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على رسول الله : محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء بالإسلام رسالة ، ودينا ، وبالقرآن معجزة ، ونموذجا يحتذى .

وبعد : فإن الرضى : محمد بن الحسن الاستراباذى : شارح الكافية لابن الحاجب ، قد اشتهر بين النحاة بشرحه ، وبقى مجهولا فيما عدا ذلك ، إلا فى النذر اليسير .

ثم إن شرحه - وإن اشتهر - فقد بقيت شهرته بلا دراسة موضوعية ، تبين عن أسباب شهرة وعظمة هذا الشرح ، وما فيه من جديد ، من حيث الاستدلال النحوى ، ومن حيث إضافات الرضى ، ومن حيث بيان مذهبه النحوى .

بل إن كثيرين من الدارسين يتخلصون من التعريف بالرضى بقولهم : هو شارح الكافية لابن الحاجب الذى هو ... ثم يستطردون فى الحديث عن ابن الحاجب ، لأنه علم مشهور ، ولأن المعلومات المتوفرة عنه عند الباحثين كثيرة ، فهم يعرفون الرضى بعقد الصلة بينه وبين ابن الحاجب فقط .

لذا فإن دراسة هذا الأثر العلمى للرضى واجبة للتعرف على ما فيه من سمات ، جعلته ينال منزلة كبرى بين الباحثين ، فاتخذوه مرجعا للرضى ومصدرا للكثير من الآراء النحوية .

ولقد بدأت صلتى الوثيقة بالرضى أثناء تحقيقى لكتاب " المنهل الصافى فى شرح الوافى " للدمامينى : محمد بن أبى بكر المتوفى فى سنة ٨٢٧هـ . حيث وجدت الدمامينى يتخذ فى شرحه هذا الرضى إماما له ، بحيث لا تكاد تجد صفحة خالية من ذكر الرضى فى شرح الدمامينى .

رقم عام:
رقم خاص:
تاريخ الورود:

بل إن الدماميني قد اختار كثيرا من آراء الرضي ، مفضلا إياها على غيرها من آراء النحاة ، السابقين ، أو اللاحقين بالرضي .

وفي تأصيلي للمسائل التي رجع فيها الدماميني إلى الرضي وجدت أن الدماميني قد ركز في اختياره على المسائل التي بنى الرضي رأيه فيها على شاهد قرآني ، مما لفت نظري إلى عناية الرضي الخاصة بهذا النوع من الاستدلال أكثر من غيره .

غير أنني فوجئت بعد الوقوف على هذه المعلومة ، أن للرضي رأيا مغايرا في القراءات ، وأعني به قوله : إن القراءة بالرأي لا بالرواية ، فعجبت كيف يتميز الرضي بهذا الغنى في الاستشهاد بالقرآن الكريم ، ومن ناحية أخرى يجعل القراءة بالرأي ، مما قد يتعارض في الاستشهاد ، في ظاهر القول ، أو لصاحب النظرة العجلى .

وأيقنت أنها مسألة تحتاج إلى دراسة : أعني استشهاد الرضي بالقرآن الكريم والقراءات .

وحفزني إلى ذلك أن القرآن ، وهو الشاهد الأول سوف يكون موضوع هذه الدراسة ، وثانيا لأن الدراسة النحوية تغني ، وتثمر ، وتؤتي أكلها كلما اقتربت من القرآن الكريم ، ولأنني قد أملت أن أكشف بعض الغموض المحيط بشخصية الرضي ، وما أكثره .

وبعد لقاءات عدة فلقد استقر الرأي ، وبعد مشورة أستاذي المشرفين على البحث ، على أن يقوم هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ثم خمسة أبواب .

وفي التمهيد جانبان ، جانب يتحدث عن الرضي من حيث اسمه ، ولقبه وكنيته ، وتاريخ حياته ، ونشأته وعما يمكن أن يكون له من أساتذة وتلاميذ ثم مذهبه الديني ، وما يمكن أن يكون له أثر في تفكيره النحوي .

وجانب ثان يتحدث عن شرح الرضى ، من حيث مكان وتاريخ وضعه وعن السبب فى تأخره عن المشرق العربى فترة من الزمان ، ومن هم أصحاب الفضل الذين أزاحوا الستار عنه .

وفى الباب الأول عرض للمسائل النحوية التى اقتصر فيها الرضى على شاهد واحد من القرآن دون غيره ، لأرى مقدار اعتماد الرضى على القرآن فى استنباط القاعدة النحوية ، مع الموازنة بين الرضى وغيره كلما أمكن .

وفى الباب الثانى عرضت للمسائل التى استشهد فيها الرضى على أكثر من شاهد قرآنى ، مع الاقتصار على القرآن أيضا ، لأرى علاقة الشاهدين المتماثلين من جهة ، ودلالة ذلك على استشهاد الرضى من ناحية أخرى ، مع الموازنة بين الرضى وغيره فى هذا المجال أيضا .

وفى الباب الثالث عرضت للمسائل التى تنوع فيها الاستشهاد بين القرآن وغيره من الأدلة النحوية ، لأرى العلاقة بين نوعى الاستشهاد من قرآن وغيره وإلى أى مدى كان اعتماد الرضى على القرآن وما علاقة غير القرآنى بالقرآنى وهل وقع الرضى فى محظور أنه يأتى بالشاهد القرآنى سندا للشاهد الشعرى مما يعنى أنه يستدل بالشعر ويجعل القرآن فضله .

وفيه أيضا تحدثت عن الشاهد القرآنى المصحوب بالنثر ، لأرى علاقة القرآنى بالحديث خاصة وأن الرضى يجعل للحديث مكانة ممتازة فى شرحه ، بل إننى قد لاحظت سلفا أن الحديث يأتى فى مقدمة الاستشهاد فى شرح الرضى ، فهو يستشهد به قبل القرآن الكريم .

ومن أجل هذا عقدت جانبا من هذا الباب لأرى تفسير هذه الظاهرة ، ومدى دلالتها على مذهبه النحوى ، أو مذهبه الدينى ، أو مدى علاقة مذهبه الدينى بمذهبه النحوى .

وفى الباب الرابع عقدته للقراءات والاستشهاد عند الرضى ، لأرى موقف الرضى منها ، ومدى اعتماده عليها فى استخلاص القواعد النحوية ، وهل هناك تناقض بين القول بأن القراءة بالرأى ، وبين الاستشهاد بها ، أم أن الرضى قد استطاع أن يفصل بين الموقفين : الموقف الدينى والموقف النحوى ؟

وفى الخامس والأخير عقدت موازنة بين الرضى وغيره من النحاة فى الاستشهاد لأرى مقدار تميز الرضى من ناحية ، ولتأكيد الملامح التى يمكن أن يكون قد أظهرت منهجا خاصا بالرضى .

وكان منهجى فى هذه الدراسة قائما على الإحصاء والتحليل والموازنة ، وهو منهج ذو أثر إيجابى ، لا يقفز إلى النتائج ، بل يجمع الظواهر ، ويحللها ويوازن بينها وبين غيرها وصولا إلى ما يمكن أن تطمئن إليه النفس ويستريح الفؤاد .

ومع هذه الخطة وهذا المنهج ، فإن هذه الدراسة لم تكن سهلة فلقد صادفتها كثير من المشاكل ، لعل فى قدمتها : الغموض الشديد حول شخصية الرضى ، فهو كما قلت : شخص مجهول الأساتذة والتلاميذ ، مجهول تاريخ الميلاد مجهول المذهب الدينى ، مجهول المكان .

والمصادر والمراجع التى تحدثت عنه تتناقل بضعة أسطر ذكرها السيوطى دون أن تضيف إليها جديدا مما يعنى أن على الباحث المقترب من هذه الشخصية أن يقارن ، وأن يوازن ، وأن يقرأ ما وراء السطور ، وأن يفسر الأحداث التاريخية استجلاء لما يمكن أن تقوله من جديد حول هذه الشخصية ، وهذا ما حاولته البحث .

ثم إن شرح الرضى نفسه ملىء بالإضافات من النساخ ، مما يعنى أن على الباحث أن يعى جيدا منهج الرضى ، ويتعرف على أسلوبه ، حتى يكون على بينة مما يقوله الرضى ، وما يمكن أن يكون قد أضافه بعض النساخ ، لتأتى الأحكام

موضوعيـة .

ولكن هذه الصاعب وغيرها قد أمكن التغلب عليها بفضل التعـاون الصادق والمساعدات الجمة ، والإرشادات الطيبـة التي قدمها إلى أستاذي المشرفـين على هذه الرسالة وهما :

الأستـاذ الدكتور / مصطفى منـدور .

الأستـاذ الدكتور / محمـد ابراهيم عباده .

فمن دونهما لم يكـن لهذا البحث أن يرى النـور ، فلقد أفـدت من الإرشادات القيمـة ، والتوجيهات السديدة والنظرات الثاقبـة ، والنصائح الغاليـة التي أبدياها لي طوال سنى الدراسة والبحـث .

وليسمـح لي أستاذي الدكتور عباده أن أتوجه إليه بشكر خاص على ما بذله من وقت وجهد ، فلقـد فـتح لي بيتـه ومكتبتـه ، مما أعجـز عن شكره ، ويكفي أن اشهد أنني كثيرا ما تجاوزت منتصف الليل وأنا قابع في داخل مكتبتـه فجـزاه اللـه عني خـير الجزاء .

كما أشكر أساتذتي الكرام الذين تفضـلوا شاكرين فقبلوا مناقشـة هذه الرسالة ضيفـين إليها من خبراتهم وعلمهم ما أعـتز بـه سلفـا وأعـد بالوفـاء بما يقدمان من نصح وارشاد يثري هـذا البحـث وصاحبه ان شـاء الله .